مجلة العلوم الإنسانية — عدد 39 جوان 2013، ص.ص.321- 328

البرابول ومظاهر تغير قيمتي الزواج والإنجاب لدى الأسر الريفية

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة التغيرات التي مست القيم الاجتماعية للأسر الريفية المالكة للبرابول، وتكونت العينة من سبع وسبعين أسرة ريفية بولاية سطيف، واستخدم الباحث الاستمارة لجمع معلومات الدراسة الميدانية التي بينت بأن البرابول كان له فعلا دور كبير في إحداث تغيرات عميقة على مستوى القيم الريفية السابقة الذكر.

أ. نورالدين بن الشيخ
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

Résumé

Cette étude livre les résultats d'une enquête de terrain dans la wilaya de Sétif sur l'influence de la télévision, en particulier des chaînes étrangères, sur la modification des valeurs culturelles (mariage notamment), des familles rurales. La collecte des données s'est faite avec un questionnaire appliqué sur 77 familles.

مقدمة

نظرا للتحول الكبير للجمهور الجزائري إلى الاهتمام بالبث الوافد من المحطات الأجنبية تعددت الدراسات لدى باحثي المجال الإعلامي حول الطرائق التي يمكن من خلالها مواجهة هذا الزخم الهائل من الإنتاج الأجنبي و كيفية تحسين الإنتاج الوطني، ومع مرور الوقت وبقاء الإنتاج الوطني دون المستوى ازدادت رغبة أفراد المجتمع الجزائري في متابعة ما يعرض في هذه القنوات. وهذا ما تفسره ظاهرة انتشار أجهزة البرابول بين مختلف الأسر الجزائرية حضرية كانت أو ريفية، وقد صاحب هذه الرغبة المتزايدة في الاتصال بثقافات مختلفة عبر القنوات الأجنبية المتعددة زيادة

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر 2013.

كبيرة في التقليد والمحاكاة بين أفراد المجتمع بالشكل الذي قد يؤثر على بعض القيم السائدة في المجتمع الجزائري،خاصة وأن ما تقدمه هذه القنوات الأجنبية بعيد عن عقله وعاداته وتقاليده .وانطلاقا من أن القيم تمثل أحد الجوانب المهمة في ثقافة أي مجتمع لأنها تعمل على قولبة سلوكيات الأفراد وتوجيهها نحو ما هو سوي ومرغوب اجتماعيا ،وتبعا لطبيعة الثقافة في المجتمع الريفي أين تمتاز بنوع من القداسة وبطء التغير المرتبط بقيم الناس وعقائدهم.فإننا نتساءل عن طبيعة القيم السائدة في المجتمع الريفي الجزائري بعد انتشار البرابول، وعليه فإننا سنحاول التركيز على هذا الجانب المهم من ثقافة المجتمع الريفي الجزائري ونحاول أن تتبين فيما إذا كانت القيم الاجتماعية للأسرة الريفية الجزائرية قد تغيرت جذريا؟ أم حدث تغير في بعضها فحسب؟بعد انتشار جهاز البرابول وعليه ستتمحور إشكالية دراستنا حول هذه التساؤلات.

- هل حدث فعلا تغير في قيمتي الزواج و الإنجاب عند لأسرة الريفية الجزائرية الملتقطة لبرامج البرابول؟

أولا : **تحديد المفاهيم :**

1- تعريف القيم: هي كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو جمالية، وتكون بمثابة الموجه والقائد لسلوك الفرد، وتضفي على سلوكه طابعا خاصا.(زكي نجيب محمود، 982، ص 121) .

بمعنى أن ما يؤمن به الفرد من القيم هي التي توجهه أو تحركه وتدفعه إلى السلوك ويتخذها معيارا للحكم على سلوكه سواء كان مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه. (محمد إبراهيم كاظم، 970، ص 23)

2- الأسرة الريفية: تعد الأسرة الممتدة هي الخاصية التقليدية المميزة للبناء الأسري في المجتمعات الريفية التقليدية في شتى أنحاء العالم ،فهي تمثل وحدة اجتماعية واقتصادية تشمل مجموعة من الأفراد يرتبطون برباط الزواج و الدم ،ويكونون وحدة معيشية HOUSEHOL ، ويتفاعلون مع بعضهم البعض بالرجوع إلى أدوارهم الاجتماعية بوصفهم أزواجا وزوجات وأبناء وإخوة ،ومن خلال ذلك يتم المحافظة على الثقافة العامة .(عدلي علي أبو طاحون،1997،ص71).

2- الأسرة الممتدة Extended family:

هي الجماعة الاجتماعية التي تتكون من عدد الأسر المرتبطة سواء كانت النسبة فيها إلى الرجل أو المرأة، ويقيمون في مسكن واحد، وهي لا تختلف عن الأسرة المركبة Composite family أو الأسرة المتصلة Joint family. (محمد عاطف غيث، دس، ص102).

كما تعرّف العائلة بأنها وحدة اجتماعية إنتاجية تشكل نواة ومركز النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، وتقوم على التعاون والالتزام و المودة، وهي أبوية من حيث تمركز السلطة والمسؤوليات ومن حيث الانتساب، وهرمية على أساس الجنس والعمر،

وممتدة ثم إن هناك خصائص أخرى تتعلق بالزواج، الإرث، الطلاق وبنوعية علاقات العائلة بالمجتمع ومؤسساته.(حليم بركات،1986،ص175).

أما إحسان محمد الحسن فيشير إلى أن العائلة الممتدة هي اصطلاح استعمله البروفيسور روبرت ماكيفر في كتابه (المجتمع) ويعني به العائلة الكبيرة الحجم التي تتكون من الزوج والزوجة والأطفال والأقارب الذين يعيشون جميعا في بيت واحد. وتوجد العائلة الممتدة في المجتمعات الزراعية و القروية وفي المجتمعات المحلية والعشائرية والقبلية كما أنّها تتوافر أيضا في البيئات الاجتماعية العمالية والفلاحية . وقد تسمى العائلة الممتدة بالعائلة الأبوية ،فالأب يحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الأم وينفرد في اتخاذ الإجراءات والقرارات التي تتعلق بمستقبل العائلة والأطفال. وعلاقات القرابة في العائلة الممتدة قوية جدا إذ تربط العائلة الممتدة علاقات متماسكة وعميقة مع الأقارب.(إحسان محمد الحسن ،1999،ص399).

ثانيا: خصائص الأسرة الريفية:

تتسم الأسرة الممتدة المميزة للبناء الأسري الريفي بجملة من الخصائص العامة يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- الأسرة الممتدة عي مؤسسة تأمين اجتماعي واقتصادي.
2- السلطة داخل هذا النمط توزع بين الذكور و الإناث حسب النوع.
3- سلطة كبار السن تفوق سلطة صغار السن
4- سلطة الذكور تفوق سلطة الإناث
5- انتشار ظاهرة الزواج المبكر لكل من الذكور والإناث
6- الزواج من داخل النسق القرابي، كما أنّ الذكور عندما يتزوجون فإنهم يعيشون مع والديهم .
7- التعليم من خلال الأسرة وتمجيد الماضي.

كما أن البعض يرى أن من خصائص هذا النمط الأسري:

1- إنجاب أكبر قدر من الأبناء حيث إنّ من أهم الوظائف الأساسية للمرأة الريفية هو إنجاب الأطفال.
2- التعليم الديني من خلال الكتاب هو النمط السائد.
3- الأولوية للتعليم الديني للذكور.
4- هناك اتجاه سلبي نحو تعليم الإناث.
5- هناك ترابط شديد بين الأرض و المكانة.
6- الأرض بالنسبة للأسرة في أهميتها تماثل أهمية الأبناء حيث إنّ الأرض والأبناء هما مصدر الأمان و الطمأنينة.
7- التعاون غير الرسمي في العمليات الزراعية وجوانب أخرى من الحياة الاجتماعية للريفيين. (عدلي أبو طاحون ،1997 ، ص72)

ثالثا: قيم الزواج والإنجاب في الأسرة الريفية الجزائرية:

3-1- قيم الزواج:

يشير أغلب الإخباريين أن الزواج في الأسرة الريفية يكون في سن مبكرة ويكون خاضعا لقيود وتقاليد معينة، وفي مقابل هذا نجد أن الزواج المبكر في الريف كان يرتبط بقضية الشرف ،إذ أن الزواج المبكر تبعا للتفكير الريفي يكون تحصينا للفتاة وحتى الفتى على حد سواء. فالعمل في الأرض واتساع رقعة العمل الزراعي كانا من أسباب التفكير في الزواج المبكر وكثرة الأولاد، وانتشر الزواج الداخلي بين الأسر الريفية أي أن يتزوج الأبناء ذكورا وإناثا من داخل العائلة أو من داخل المجتمع المحلي الذي يعيشون فيه، وكان الاختيار بيد كبار السن، فلا الولد ولا البنت لهم رأي في الزواج، واتسمت تكاليف الزواج في الأسرة الريفية بمطالبها المحدودة ومهورها البسيطة ، ويهتم الريفي بدعوة أهله وأهل القرية وجيرانه حيث يقدمون الهدايا التي تعدّ دينا واجب الرد في المناسبات المماثلة. زيادة على هذا فالابن عندما يتزوج يقيم مع العائلة ويبقى تحت تصرف رب العائلة سواء الجد أو الأب وهذا لأن طبيعة العمل الزراعي وتوابعه تتطلبان وجود الجماعة .

3-2- قيمة الإنجاب (الأولاد):

يصوّر العديد من الإخباريين الأهمية التي كان يوليها الريفي للأولاد انطلاقا من أنهم يمثلون القوة الإنتاجية في العمل الزراعي فهو يحرص على أن يكون له عدد أكبر من الأولاد، ولهذا ترتفع قيمة المرأة الولود التي تنجب أكثر. وبسبب العقم عند النساء أو إنجاب الإناث فقط انتشرت كثير من الخرافات المتعلقة بهذه الموضوعات امتدت من الطب الشعبي إلى الدجل و الشعوذة.وتمثل الرغبة في الإنجاب عند المرأة الريفية أهمية كبيرة إذ تعدها أهم وظائفها لأن كثرة الإنجاب وسيلة لتامين مستقبلها الزواجي لخشيتها من الطلاق . وقد شكل هذا الارتباط بالإنجاب اتجاها مناهضا لتنظيم الأسرة . ويحتل الذكر في الأسرة الريفية أهمية أكثر من الأنثى لأنه في اعتقاد الريفيين الأقدر على الاضطلاع بالمسؤوليات التي يتطلبها العمل الزراعي ، كما أنّه يحمل اسم العائلة ، أما الأنثى فلا تعامل بالمثل بحكم أنها في البيت ولا يكون لها رأي في مختلف أمور الحياة .

رابعا :إجراءات الدراسة الميدانية :

بغية الإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بدراسة ميدانية بإحدى المجتمعات الريفية بولاية سطيف وكانت على النحو الآتي :

4-1- فروض الدراسة:

انطلقت الدراسة من الفرضية المحورية الآتية :

1- هناك تغير في قيم الزواج لدى الأسرة الريفية.

وسيتم تناولها في ضوء المؤشرات الآتية: (من حيث السن، الاختيار الشخصي، القرابة، الإقامة مع الأسرة ، تعدد الزوجات عند الرجل، المهور).

2- هناك تغير في قيم الإنجاب وسيتم تناولها من خلال المؤشرات الآتية: (تنظيم النسل، تفصيل إنجاب الذكور على إنجاب الإناث).

4- 2- عينة الدراسة :

تتمثل عينة البحث في مجموع سكان مجتمع ريفي بولاية سطيف- وعليه فقد كانت العينة مقصودة .ولاختيار العينة التي نحن بصددها قمنا بإجراء عملية مسح شامل لمجتمع البحث حيث وجدنا العدد الإجمالي للأسرهو97 أسرة ،أما الأسر المالكة لجهاز البرابول فكان عددها 89 أسرة، وانطلاقا من محاولة الباحث معرفة أنماط القيم في الأسرة الريفية بعد الاحتكاك بثقافات العالم من مختلف القنوات الملتقطة، ونظرا لاعتقاده بأنّ معرفة اتّجاهات التغير في القيم لا يمكن أن تقاس من خلال فرد من أفراد الأسرة فقط فقد أضاف الباحث معيارا آخر في اختياره لعينة البحث وهو أن تتضمن كل أسرة أربعة أفراد (زوج، زوجة، ابن، بنت)، وبذلك نكون قد حققنا التجانس بين أفراد العينة من جانبين:

أ- من حيث التركيبة: حيث يكون هناك تمثيل لجميع الأفراد وفقا لمتغيرات مثل الجنس ،السن ،المستوى التعليمي،المهنة،الحالة الاجتماعية وغيرها.

ب- من حيث الحجم: حيث إنّ كل الأسر المعنية بالدراسة الميدانية تتكون من أربعة أفراد(زوج، زوجة، ابن، بنت).

ومن خلال اتّباع الباحث لهذه المعايير في تحديد عينة البحث أصبح عدد الأسر المعنية التي تتوافر على المعايير السابقة الذكر هو77 أسرة وبذلك العينة تشتمل على 308 فردا من الذكور والإناث، وقد راعى الباحث أن تكون وحدة البحث هي الأسرة وليست الأفراد وهذا حتى يتم معرفة التغير القيمي للآباء (أزواج، وزوجات) وللأبناء(ذكورا، وإناثا)، بالصورة التي تعطينا طبيعة تغير مظاهر القيم السائدة في الأسرة الريفية بعد انتشار البرابول، وذلك من خلال أسئلة استمارة البحث الموجهة لأفراد العينة حول اتجاهاتهم نحو هذه القيم .

4-3 - المنهج :

استخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة الذي يستخدم عادة في البحوث التشخيصية التي تنطوي على الكشف عن أهمية المتغير المستقل في إحداث وتسبيب المتغير التابع داخل الظاهرة المدروسة. وقد مزج الباحث بين الأسلوبين الكمي والكيفي في تحليله للبيانات الميدانية ، على اعتبار أن الاعتماد على أسلوب واحد فقد دون الآخر يحدث تقصيرا في تحليل هذه البيانات بالشكل الذي يؤثر على طبيعة النتائج النهائية للبحث .

4- 4 أداة البحث :

استخدم الباحث في هذه الدراسة أداة الاستمارة بتطبيق مقياس لكرت وهو من أكثر مقاييس الاتجاهات شيوعا وتداولا في دراسة الاتجاهات وهذا حتى يكشف الباحث اتجاهات أفراد العينة تجاه قيم الزواج والإنجاب في الوقت الحالي.

خامسا :النتائج العامة للدراسة :

5- 1 - نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

من خلال تطبيق مقياس ليكرت واستخدام المعاني الإحصائية في تحليل البيانات الميدانية التي جمعت خرجت بمجموعة من الاستنتاجات التي تشير إلى أن الفرضية الأولى الآتية: يرتبط انتشار البرابول بالتغير في القيم الاجتماعية، قد تحققت بدرجة محدودة من الإيجابية ، ويدعم هذه النتيجة البيانات الكمية الواردة من الجدول 15 إلى الجدول 34 ، فالاتجاه العام لأفراد العينة نحو الزواج المبكر للابن لم يتغير حيث إنّ نسبة 46.6 % عبّروا عن معارضتهم لتأخير الزواج المبكر للابن ، مقابل نسبة 23.37 % وهو ما نعدّه استمرارا لهذه القيمة بالنسبة لمجتمع البحث الذي عرف في الماضي انتشارا لزواج الأبناء في سن مبكرة. كما سجلنا أيضا أن قيمة الزواج المبكر للبنات لم تتغير في عمومها إذ سجلنا الاتجاه الإيجابي للآباء والأمهات والأبناء في مقابل الاتجاه السلبي للبنات اللواتي يعتبرنه- الزواج المبكر – كبحا لطموحاتهن من جهة، وعدم احترام لكينونتهن من جهة ثانية، أما الآباء والأبناء فيعتبرون الزواج المبكر للبنت حماية لها وحفاظا على شرفها وشرف أسرتها ككل. وقد بلغت نسبة الاتجاه نحو هذه العبارة 61.4 % .

وفي مقابل هذا سجلنا التغير الكبير والواضح في زواج الأقارب إذ أكدت البيانات الميدانية الاتجاهات الإيجابية بالرفض والمعارضة لأي ارتباط مع الأقارب سواء للبنات والأبناء حيث بلغت نسبة الاتجاه العام 46.7% للذين أجابوا (موافق بشدة)، و38.3 % للذين أجابوا (موافق) بالنسبة لزواج الأبناء من بنات الأقارب، و44.48% للذين أجابوا (موافق بشدة) و(موافق) بالنسبة لزواج البنات من أبناء الأقارب وهو ما يعني أن الزواج لم يبق داخليا أو لن يصبح كذلك مستقبلا، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة الاتجاه للأبناء والبنات حيث بلغت عند الأبناء 81 % وعند البنات 92.2 % بالنسبة لزواج الأبناء من بنات الأقارب ،و بلغت نسبة الاتجاه للأبناء والبنات 75.32 % و80.51 % بالنسبة لزواج البنات من أبناء الأقارب.

أما قضية الاختيار الشخصي للأبناء فقد تغيرت نظرة الريفي نحو هذه الفكرة حيث لاقت تأييدا عاما من طرف أفراد العينة حيث بلغت نسبة الاتجاه 46.4 % (موافق بشدة) ونسبة 25 % (موافق) ، غير أننا لاحظنا أن الشدة عند الآباء والأمهات كانت متوسطة وليست للدرجة التي وجدت عند الأبناء و البنات حيث بلغت عند الآباء 15.58 % ، أما الأمهات 2.59 % ، وهذا ما يوضح أن هذا الاتجاه العام الايجابي نحو هذه القيمة لا يعني أنها تغيرت تماما بل مازالت محل صراع بين الجيلين – الوالدين و الأبناء - لكن في مقابل هذا وجدنا أن الاتجاه كان إيجابيا بمعارضة الاختيار الشخصي للبنات عند الزواج خاصة عند الآباء والأمهات والأبناء أين بلغت نسبة اتجاههم على التوالي 74 % و77.9 % و 74 % ، رغم معارضة البنات المبحوثات لهذه العبارة حيث بلغت نسبة الاتجاه العام 58.1% ،وهذا ما يعني أن هذه القيمة لم تتغير عن الماضي حيث مازال الاختيار في يد كبار السن.

كما تغيرت قيمة إقامة الابن المتزوج مع الأسرة بعد الزواج عموما حيث تبين أن نسبة الاتجاه العام نحو هذه القيمة بلغت 50.3 % ، وهو اتجاه إيجابي بمعارضة إقامة الابن بعد الزواج ، مما يعني أن هذه القيمة تغيرت ولم تبق على الصورة التي كانت عليها في الماضي ، وهذا مؤشر مهم على اتجاه الأسرة الريفية نحو الاستقلالية في العيش دون الإخلال طبعا بالروابط الأسرية رغم تسجيلنا للاختلاف بين جيل الأزواج والزوجات من جهة، وجيل الأبناء والبنات من جهة ثانية ، حيث عبر أغلب الأزواج عن حيادهم تجاه هذه القيمة بنسبة 85.44 % أما الزوجات فقد عارضن هذه القيمة بنسبة89.61 % بينما كان اتجاه الأبناء – ذكورا وإناثا – إيجابيا حيث رفضوا هذه القيمة بنسبتين عاليتين 93.5% و 90.9 % على التوالي.

كما بيّنت الدراسة الميدانية تغير قيمة زواج الرجل بأكثر من امرأة عن صورتها القديمة حيث بلغت نسبة الاتجاه الكلية 47.7% وهو ما يعكس رفض أغلب أفراد العينة لمسألة زواج الرجل بأكثر من امرأة على الرغم من أن بيانات ذات الجدول بينت أن الأزواج فكان اتجاههم إيجابيا جدا قدرت ب 89.61%، أما الأبناء فقد بلغت نسبة اتجاههم 66.23% وهو اتجاه إيجابي، ويبرر الذكور – الآباء والأبناء- هذا الاتجاه بكون القضية محسومة دينيا- فالشرع يبيح للرجل الزواج بأربع نساء، أما الإناث – الأمهات والبنات- فيرفضنها انطلاقا من كونها ظلما اجتماعيا يمارس ضد المرأة.

وقد سجلت البيانات الميدانية تغيّرا كبيرا وملموسا في قضية المهور التي تعد قضية حساسة حيث كانت اتجاهات أفراد العينة ذكورا وإناثا ، كبارا و صغارا إيجابيا تجاه مسألة رفع المهور حيث كان الاتجاه العام إيجابيا، حيث رفض معظم أفراد العينة أن تكون المهور بسيطة وبلغت نسبة الاتجاه 94.4 % ، وهذا ما يجعلنا نقول أن الحياة المادية بدأت تسيطر على الريفيين، فبعد أن كانت المهور معقولة في الزيجات الريفية أصبحت اليوم تكاد لا تختلف عن المهور في المجتمع الحضري.

5- 2 - نتائج الفرضية الجزئية الثانية :

كما سجلنا من خلال البيانات الميدانية تغيرا في قيمة تنظيم النسل عند أفراد العينة حيث كانت الاتجاهات إيجابية نحو هذه القيمة بشكل قوي إذ قدرت شدة الاتجاه العام ب 100% ، وهو ما يؤكد وبشكل قوي القناعة التي أضحت لدى أفراد مجتمع البحث في أن تنظيم النسل كفيل بتوفير حياة كريمة وسعيدة للأسرة ،كما أنه يساعد إلى حد بعيد في تربية أحسن ومتابعة أفضل للأولاد بالشكل الذي يساعد على تنشئتهم وفق ما يريده المجتمع ويرضاه .

أما القيمة الأخرى والتي لم تتغير فهي المتعلقة بتفضيل إنجاب الذكور عن الإناث حيث جاءت الاتجاهات إيجابية بشكل واضح حيث رفض أغلب المستجوبين هذه العبارة بنسبة اتجاه 89.93 %، وقد سجلنا النسب المرتفعة لكل أفراد العينة فالأزواج بلغت شدة الاتجاه عندهم 93.5 % و الزوجات 9.09 % و الأبناء 89.61 %

والبنات 85.71 %. و من خلال هذه النسب نجد أنها ليست مخالفة تماما لما كان سائدا في الوقت الماضي حيث كان لإنجاب الإناث أكثر من الذكور الدور الكبير في ظهور كثير من الخرافات المتعلقة بهذا الموضوع امتدت من الطب الشعبي إلى الدجل والشعوذة مما يؤكد القيمة التي يحظى بها الذكر في المجتمع الريفي. كما أن قيمة الإنجاب بوصفها دورا أساسيا للأم لم تتغير حيث نجد أن أفراد العينة يؤكدون بشكل كبير أن الإنجاب فعلا هو الدور الأساسي للأم لأن الأولاد يمثلون القوة الإنتاجية والقوة الاجتماعية على السواء وهي الصورة التي كانت عليها في الماضي حيث كانت قيمة المرأة الولود مرتفعة وهي أكثر حفاظا على حياتها الزوجية مقارنة بالمرأة العاقر، وهذا ما عبرت عنه نسبة الاتجاه نحو هذه القيمة التي بلغت 94.4 %

المراجع

1- زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1982.
2- محمد إبراهيم كاظم : القيم السائدة بين الشباب من معلمي المرحلة الابتدائية في ج م ع، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1970.
3- عدلي أبو طاحون : علم الاجتماع الريفي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1997.
4- محمد عاطف غيث: علم الاجتماع القروي ، دار النهضة العربية ، القاهرة، دون سنة .
5- حليم بركات : المجتمع العربي المعاصر ، مركز الوحدة العربية ، بيروت ، 1986
6- إحسان محمد الحسن: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات 1999.